اللواء ٢٥ تشرين الثاني ٢٠١٦

فيروز

اسمها فننتشي روحي، ويرقص قلبي طرباً.
اجتاز الطرقات وفرح الحياة يدفعني، ويفجر من صدري الضحكات والاناشيد.
اتنقل في حديقتي الصغيرة على شرفة الشير فاجد في حفيف الاشجار وزقزقة العصافير ودمدمة الريح النشوة المنشودة الشائعة التي يتسبب بها صوتها الشجي.
كل شيء في الزهور تشبهها، وكل شيء يتجه فيها شطر النور.
عبقرية «الاخوين» تغلي في روحها وكذلك نبوغ «المستزيد» الذي زاد الفرح فرحاً والنور نوراً.
النور هو قانون حياتها وفي هذا النور عاشت وحلقت.
في الايقونة وجد العاصي والمنصور بذور شعرهما وفي سمو عينيها نمت البذور وتالقت وازهرت واستحالت امجاداً من الابداع لنمجد ايقونة اغنيتنا اللبنانية لتي لم «تتمصر»، لان شعر الاخوين المتناغمين صدر عنهما وانتهى اليها، بل فلنمجد حضورها من بعلبك إلى جبيل إلى «الاوبرا» لاننا جميعاً نلقى فيه الطرب والفرح والنور. اعطت «الاخوين» صوتها فأوصلاه إلى اقاصي الارض. المجد لفيروز خالقة الفرح الاكبر في نفوسنا المجد لها ما برحت تجعل من حياتنا نوراً مطرد التوهج وربيعاً متصل الخلود!.
ننظر اليها فتدمع اعيننا ونفهم للتو معنى الرحمة.
وعندما نراها واقفة تصلي وتبتهل إلى بارئ الاكوان وتغني لابنها المعبود وكأنها تضمه الى صدرها كما يضم الليل النهار، وتوسعه ضماً وتقبيلاً كانه لن ينفصل عنها، وكأنه لم يخلق لعذاب الحياة والموت، ننظر اليها طويلاً، ونهز رؤوسنا اعجاباً، ونفهم فوراً معنى التضحية.
انت يا سيدتي نور في زمن النار المحدق من كل صوب، انت السماء مقترنة بمحيط جهنمي. المحبة خادمك والرأفة سيدك، الخير في قلبك يصدر عن الحب المنزه فيما الشر في قلب اناس يستسلمون لغرائزهم القاتلة باسم الدين والدنيا.
ما دامت الحياة فيك - اطال الله عمرك - فانت سلطانة والمستكبرون عبيد! وستبقين، في كل حال، ثورة العرب وثروتهم، ستظلين ضميرهم وذاكرتهم.
في عيد الاستقلال غير المكتمل، نرى في صوتك طفلاً وديعاً خالداً يثير فينا الحنان والشعور بان العالم، لا محالة، تباشير فجر جديد مفعم بالعطر والندى والتفاؤل الحلو وانما الحذر الذي لا يخلو من حزن.
من مثلك يعول حصراً على صوته ومهابته ووجدانه وعذوبته وعمقه بعيداً عن الحركات الجسدية، مما يحملنا على الانطلاق إلى التأمل وشاهقات الروح؟ نغمض اعيننا لنستمع اليك.
غناؤك متعدد الالوان تعدد النسيج اللبناني ولكنه رحب الابعاد يكون خميرة نادرة للشرق بل خمرة سينتشي بها فيظل مصدر الابداع والنور.

د. جهاد نعمان